

## المحاضرة السادسة اصول الدعوة المرحلة الثالثة

### الفصل الثاني : أصناف المدعوين

أولاً: الملا                      ثانياً: الجمهور                      ثالثاً: المنافقون

#### المبحث الأول : الملا

##### تعريف الملا

يستعمل القرآن الكريم كلمة "الملا" في قصصه عن الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم "والملا" كما يقول المفسرون: هم أشرف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وساداتهم [1] فهم اذن البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس اشرافاً وسادة، أو يعتبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه اشراف المجتمع وسادته، ومن ثم يستحقون - في عرف الناس - قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلاً. واطلاق كلمة الملا على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلاً للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة. ويشبه هذا الاطلاق ما ورد في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم الى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعض هذه الرسائل مخاطبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى رئيس الروم بعبارة "إلى عظيم الروم" فاطلاق هذه العبارة على رئيس الروم من قبيل بيان واقعه وهو انه عظيم في نظر الروم لرئاسته لهم، وليس بياناً لاستحقاقه هذا الوصف.

##### الملا والدعوة الى الله

والوصف الغالب على الملا من كل قوم معاداتهم للدعوة الى الله تعالى، فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام الى الله تعالى، وكانوا هم الذين يتولون كبر المقاومة الاثيمة للدعوة الى الله ويقودون حملة الكذب والافتراء والتضليل ضد انبياء الله تعالى، يدل على ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿لوما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون. وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين﴾ سورة سبأ الآيتان: ٣٤-٣٥، يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم مسلياً له أنه ما أرسل من رسول الى قرية إلا قال مترفوها - وهم أولو القوة والحشمة والثروة والترف والرياسة وقادة الناس في الشر - لا تؤمن به ولا نتبعه [2] وقال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. فقال الملا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين﴾ سورة الاعراف الآيتان: ٥٩-٦٠، فالملا من قوم نوح هم الذين تصدوا للدعوة الى الله، وهم الذين نسبوا نبيهم الى

الضلال المبين وهذا من أعظم الظلم والصد عن سبيل الله إذ يوصف الحق الذي جاء به نوح من ربه بالضلال، ولكن هذا هو منطق الملام وكذلك كان موقف الملام من قريش من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاوموا هذه الدعوة المباركة، وأدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورموه بالكذب وتآمروا به، قال تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب، أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. وانطلق الملام منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ سورة ص الآيات: ٤ - ٧ واللام في الآية الكريمة هم سادة قريش وقادتها ورؤساؤها وكبرائها، قالوا لقومهم: استمروا على دينكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد<sup>١</sup>[3].

وفي السيرة النبوية الشيء الكثير عن موقف الملام من قريش وغيرهم من الدعوة الى الله التي بلغهم إياها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما ذكره ابن هشام في سيرته من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى القبائل ويدعوها الى الله تعالى، وكان يمشي وراءه أبو لهب وهو من أشرف قريش ويقول للناس "... فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه"<sup>١</sup>[4] وكذلك عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف واجتمع بنفر منهم "وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافها" ردوه أقبح رد ولم يكتفوا بذلك وإنما "اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس"<sup>١</sup>[5].

### أسباب عداوة الملام للدعوة الى الله

من التأمل في الآيات المسوقة في قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أقوامهم تظهر لنا أسباب مخاصمة الملام للرسول الكرام وعداوتهم لهم ورفضهم دعوتهم، ومن أهم هذه الأسباب الكبر الذي تغلغل في نفوسهم وحبهم الرياسة والجاه، والجهلات التي حسبوها أدلة وبقينيات. ونتكلم فيما يلي عن كل سبب مع ما ورد بشأنه من آيات وآثار.

#### أولاً: الكبر

الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة مستقرة في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة ومواقف متعددة، ومن آثاره عدم رؤية الحق في غالب الأحيان أو رؤيته ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له كما يمنع الاعتراف بالفضل لأولي الفضل ويمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدرة نفسه فيراها فوق أقدار الناس فيستتكف أن يكون معهم أو تابعاً لأحد منهم، وقد يقتترن الحسد مع الكبر فيزيد من آثاره سوءاً وصدوداً عن الحق وجحداً له ومحاربة لأهله وعداوة لهم. ومن الآيات الدالة على صفة الكبر في الملام وما أدت إليه من نتائج غاية في السوء والقبح قوله تعالى:

- ١- {ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...} ففرعون وقومه أنكروا نبوة موسى عليه السلام مع أن نفوسهم أيقنت بها، وكان الحامل لهم على انكارها ظلمهم وتكبرهم على موسى عليه السلام.
- ٢- {لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، قال المأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين} فالمأ بدلا من رؤيتهم الحق الذي جاءهم به نوح رأوه ضلالاً، ونوره ظلاماً، وادعوا ان هذا الضلال بين، أي: ظاهر واضح، وهو في الحقيقة دليل على عماهم وعدم رؤيتهم الحق الذي أدبهم الى هذا الادعاء وبالتالي الى هلاكهم، قال تعالى مخبراً عن عاقبتهم {وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوماً عمين} سورة الاعراف الآية: ٦٠.

### ثانياً: حب الرياسة والجاه

"والمأ" يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس وتجعلهم تابعين كبقية الناس. وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة الى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم ولذلك يقاومونها ويعادونها ويأتون بالباطيل لتبرير عداوتهم، ومن الآيات الدالة على حبه للرياسة والجاه وأن هذا الحب كان من أسباب رفضهم دعوة الحق الى الله تعالى: ما يأتي:

- ١- في قصة نوح عليه السلام قال تعالى: {فقال المأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين} سورة المؤمنون الآية: ٢٤.

"فالمأ" دفاعاً عن رياستهم على الناس وتسلطهم عليهم يقولون: إن نوحاً بدعوته هذه يريد أن يتفضل عليكم، أي يترفع ويتعظم عليكم ويترأس عليكم. ويريد المأ بهذا الادعاء صرف الناس عن نوح عليه السلام لتبقى سيطرتهم ورياستهم عليهم. والحقيقة أن رسل الله لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ولا رياسة ولا تعاضماً وإنما هم بطبيعة دعوتهم يصيرون أئمة للناس وتصير لهم الرياسة ولكن ليست هي مثل رياسة أولئك المأ المتكبرين على الله.

- ٢- قال تعالى عن فرعون وملئه: {ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين. قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون. قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين} سورة يونس الآيات: ٧٦-٧٨.

فرعون وملؤه استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوماً مجرمين ثم برروا استكبارهم عن الحق بالادعاء بأن موسى وهارون يريدان تثييمهم عن الدين الذي كان عليه آباؤهم أو أنهما يريدان أن تكون لهما الكبرياء أي العظمة والرياسة في الأرض. فأسباب رفض فرعون وملئه دعوة الحق ترجع

الى الكبر وإلى حب الرياسة والعلو في الأرض ولهذا اتهموا موسى وهارون بحب الرياسة لأن فرعون  
يظن أن القصد من دعوتهما هو ذلك أو أن مآل دعوتهما ذهاب رياسته على الناس.